إنتاجيـــــة الصّمت في النّـص الرّوائـــــي الليبـيّ
رواية التـــــبر لإبراهيــم الكونيّ نموذجاً.

د. زينب الحــراريّ عبد النبي جرجــر ـ كلية التربية ـ جامعة طرابلس

الملـخّـــــص:

تتمحـــور صُــور ومعالم النّص الروائــي فــي نســيج متناغم لتمثل الصّــراع والمواقف التي يتطلبها الحدث، فكان ذلك لا بد من وجود لغة حكائيــة ســواء أكانت منطــوقة أم صامتة؟ فلكل منها دلالتها الإيحائية، وإذا كان الخِطاب يغير بالملفوظ من القول، فإن الصمت يُمثل الفضاء والحيز الأكبر الساكن والساكت. وفي أثناء السرد يحصل إسقاط لبعض التفاصيل من الحدث، وأحياناً حذف جمل أو مقاطع، أو حروف، ويمثله البياض الذي يترك بين السطور مساحات وفرغات بيضاء في بعض الأحيان.

وإذا كان الخطاب يحمل اللغة المنطوقة ويركّز الســرد عليه، كذلك الصمت يعد من الخطابات التي بها ينظم العلاقات في المادة الروائية وجزء من الحكي المخفي الذي يكمن فيه الترابط الدلالي بين كلام النص وصمته في تقديري

وتتمثل الدّراسة في إنتاجيــة الصّمت في النص الروائي رواية التبر لإبراهيم الكوني ، الصّمت في الفضاء المكاني (الصّــحراء)، والزمن وتقنياته الحذف الذي يعد الحيز الخالــي من الكتابة، والذي يؤثثه نقط الحذف، وكذلك تقنية التلخيص، ووجهة النظر تتمثل في الحوار غير المباشر وكذلك الإشارة، وقد بدأت الدراسة بالمقدمة التي كانت عرض لأهمية البحث والاشكالية ، ثم عرض للمتن، وكذلك أهم ما توصل إليه البحث من نتائج مهمة ، ثم هوامش البحث، وقد جاء هذا البحث بشكل موجز ، و ربما تكون الفائدة مؤشر حقيقي في هذا الايجاز .

Summary

The images and features of the narrative text are woven into a harmonious fabric to represent the conflict and situations that...It requires itEvent,It was necessary for there to be a languageAnecdotalWhether spoken or silent, FtoAll of themDalalGet lostEHAya.

If the letter isASee the verbal form of the saying, as silence represents theFLight and the larger space that is still and silentT.

And during the narration it happensEOmission of some details of the event, and

sometimes deletion of sentences, passages, or letters, represented by whiteness, which leaves white spaces and spaces between the lines. Sometimes.
andEIf the speech carries the spoken language and the narrative focuses on it, as wellsilence YA number of discourses through which he organizes the relationships in the articleRWaia and part of the hyourThe hidden meaning in which lies the semantic connection between the words of the text andpHe died inMy appreciation. The study consists of:EThe result of silence in the fictional text of the novelRepentR to Ibrahim Al-Koni, thepMTIn spatial space(Desert), time and its techniques of deletionWhich countstheHYgWithout writing,And the one who furnishes itnNever delete, as welltechniqueSumming upAnd a destinationConsideration consists of indirect dialogue And also the sign.
And it's badI study the introduction, which was an exposition Because of the importance of research The problem, then presented tototext,And so ontoThe most important findings of the research, then the footnotes of the research.
And it hasThis research came upforconcise form,andMaybe it's theFA real indicator in this summary.

المُقدّمـــــــــة:

تحمــل الدراسة عنــوان : (إنتاجية الصمت في النص الروائي رواية التبر لإبراهيم الكوني نموذجا)،وقد كان الهدف منه معرفة الإنتاجية لهذه الظاهـرة في النص الروائي، ودلالته ، وكان اهتمامنا لهذه الدراسة لما لها من أهمية كبرى في الدّراسات الأسلوبية، والروائية الحديثة، وجاءت الدراسة من خلال عرض إشكالية كيف يتم تسريد الصمت في النص الروائي ؟

وربما تعلّق الأمر بقــراءة النّص بطريقة تأويلية، فهو يمثل بـؤرة الخطاب لمجموعة من الدلالات والعلاقات المخفية تحت دائرة الصمت. وحيث أن الصمت يعد فضاءً واسعاً يتوغل في بنية النص ، فكان لابد من الوقوف على بعض الجوانب التي يشغلها هذا الفضاء سواء أكان بإسقاط بعض التفاصيل أو حذفها، أو ضمن فراغات لها ودلالتها في النص ، أو عبر فضاءات زمنية ومكانية في ذات الوقت .

ـ أما منهج الدراسة التي اعتمدنا عليها ، فكان المنهج التحليلي والوصفي أقرب لهذه الدراسة. وقد توجهنا إلى دراسة (إنتاجية الصمت في النص الروائي رواية التبر لإبراهيم الكوني) أنموذجاً والذى يشتمل على الملخص ، والتمهيد، والمقدمة ، ثم عناوين فرعية منها : الفضاء المكاني (الصحراء) ، وتقنيات زمنية منها الحذف، والتلخيص، ثم الحوار غير المباشر، الذي يحوي وجهة النظر (الإشارة) ،ثم النتائج التي توصل إليها البحث ، ويعقبها الهوامش لأهم المراجع لهدا البحث.

وأما أهم الدراسات التي استفذنا منها خلال دراستنا هذه ، لم نعثر في الحقيقة على دراسات كافية ووافية لها ،وتظل دراسة محيى الدّين حمدي مدخل إلى الصمت في النص السردي- مجلة كلية الآداب واللغات جامعة صفاقس تونس ، وكذلك دراسة عمار بشيري الصمت في الخطاب القصصي عند عبدالله أبو هيف- من أهم الدراسات حتي وأن كانت مختصرة في بحوث قصيرة ، أما بقية المراجع فكانت من المراجع السردية المختلفة .

تمهيـــد :

يظــلّ النّص السّـردي الروائي نصاً غامضاً للوهلة الأولى لدى القارئ، وتعتبر كل مقولة حكي أو مقطع في الخطاب الســردي الروائي محل تساؤل واللغز الذي يحاول القارئ استدراكه، واستنباط مضمونه ، لما له من دلالات وإيحاءات ورموز خفية أراد منه الروائي التنبه إلى قضية ما تشغله ، وهنا لابد له من قراءة النص قراءة تقترب من صميم وصلب موضوعه الذي يريد الإفصاح عنه حسب ظني.

وبمجرد ما ينغمس القارئ في قــراءة الرواية، فإنه يلجأ إلى التفســير والتأويل، وأحياناً مشاركة الــرّواة في كيفية الإجابة عن بعض الأسئلة، وهذا الشّعور كثيراً ما يتردد ويدور في الذهن ماذا حدث بعد ذلك؟ أو ماذا سوف يحدث مستقبلاً ؟ وما مصير الشخصية البطل ؟ ولهذا لابد من متابعة الأحداث والتقاط التفاصيل .

وتلعب اللغة دورها في تسريد النص عبر الرواة، واللجوء إلى الخطاب والأخبار، وعرض المعلومات ؛ ولكن من الممكن أن يستخدم الكاتب تقنية الحكي عن الأحداث واللغة المنطوقة كوسيلة للقراءة والكتابة، وأحياناً أخرى يلجأ إلى اللغة الصامتة للتعبير عما هو متخيل وإنجاز أكبر قدر من المغامرة المتوقعة في زمن محدد، وتوصيل ما يمكن إيصاله للقارئ في تقديري.

والسؤال هنا ما مفهوم الصمت ومدلوله في النص السردي الروائي ، وهل هو من ضمن البنية النصية التي تتخلل المقاطع السردية ؟

الصمت لغــة تبرز في النص الروائي وعبر الحقل الدلالي يتضح مدلولها، وتعكس على عملية السرد والتأثير في المشاهد بشكل إيجابي، ولعل من خلال ذلك يدرك القارئ العلاقات القائمة بين الأشياء المادية والمعنوية لتكون الخيط الرفيع الذي يمسك به الروائي تفاصيل الحدث. وهنا لا بد من دراسة لغة الصمت من عدة جوانب منها: تقنيات الزمن، والحذف ، والتلخيص، وكذلك المؤثر الخارجي الذي يكمن في الفضاء

الجغرافي (الصحراء) من ثم الحوار غير المباشـر في النص الروائي، ولنبدأ بالفضاء في الرواية (التبر) والذي يندرج ضمن مدلول الصمت.

الفضـــاء المكانـــي (الصحراء):

تمثل الصحـراء البؤرة التي يتمحور حولها المكون الإنساني ، وهي متصلة فيما بينها هذا المكون اتصالاً وثيقاً بعلاقات متجانسة. ونلحظ ذلك بوضوح في فكرة الكاتب الاتكاء على هذا الفضاء الصامت، فالصمت فكرة ملازمة للمكان الصحراوي، ففي الصحراء يعم الصمت، وقد يخيل إليك بأنه لا شيء ينطق من حولك.

والصّـــحراء تتسم بالثبات وعدم الحركة كذلك، وهي صفة ظاهرية، ولهذا تم استحضاره بسهولة في النص الروائي، لأنه شاسع ليس منغلق يحمل بين جوانحه العديد من الفضاءات الأخرى، وربما ترك لدى الروائي انطباعاته البيئية، " وكأنه يتجه إلى مختلف الأماكن دون صعوبة ويتحرك نحو أزمنة أخرى، وعلى مختلف مستويات الحلم والذاكرة "[1] ، وبهذا يمكن أن يكون للصمت طبيعة تعبر عن كينونة المكان باستخدام المؤشرات الزمنية التي يلجأ إليها " الكاتب لملء فراغات زمنية تساعد على فهم مسار الأحداث" .[2]

هذا المكان الجغرافي (الصحراء)، والذي يعبر عن الوحدة والصمت، وكل الأشياء المسكوت عنها، ففي الصحراء (الحجر) الذي لا ينطق ، والجبل الساكن الذي لا يتحرك دائم الوقوف، والرمال الصامتة منذ آلاف السنين ، في زمن بعيد، لا شيء سوى الصمت فعلاً. ونلحظ في هذا التصنيف التالي بنية السرد الروائي وتسريد الصمت في رواية التّبر ما يلي :

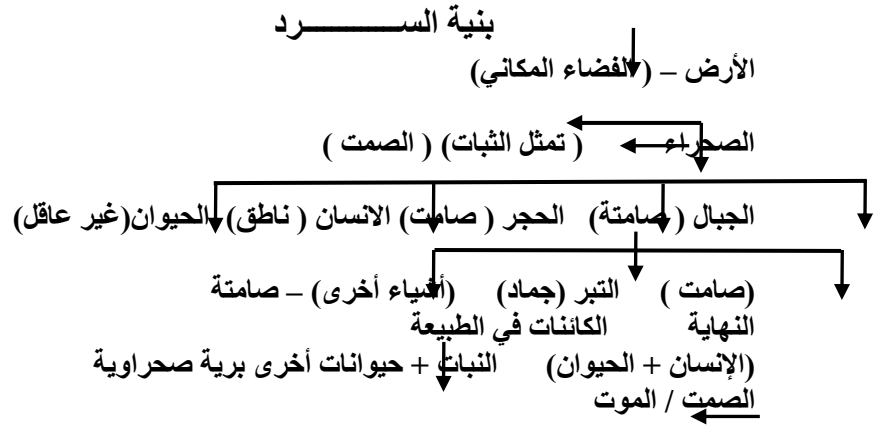

إذن الملاحـــظ في هذا التصنيف السّـــردي، والذي يحمل العناصر الأساسية المتداخلة والمترابطة فيما بينها، والتي تضم مجموعة من العلاقات المتجانسة ضمن أطر أيدولوجية تمثلت في قيم ومفاهيم يجمعها الإطار المكاني والزماني، وترتبط بالأشياء عن طريق الوصف، ولكن ذلك لا يتم دون إشارات زمنية التي تتكرر في **ثنايا النص :** كما (يقوم الروائي من خلال إدراجه لمجموعة من الشخصيات في نصوصه بإقامة شبكة من العلاقات بينها حيث تتبادل هذه الكائنات المخيالية التأثير من خلال الكشف المتعاقب أو المتوازي لبعضها البعض منطلقة من وجهات نظر أو رؤى مختلفة، ويمتد ذلك غالباً إلى الأشياء التي تعيش داخلها أو بها أو تمتلكها هذه الكائنات المخيالية، وكذا إلى الفضاءات أو العوالم الخارجية التي تؤمها هذه الشخصيات) [3]

كل ذلك يدخل ضمن أطـــر يحددها الموقع الجغرافي (الصحراء) فهي الإطار الذي يحمل كل هذه العوامل والأشياء ، فالحجر الصامت لا يمكن بأية حال إغفال هذا العنصر الطبيعي، والذي يعبر عن الصمت، لكنه ذا قيمة دلالية هذه (الأحجار التي تعودت أن تتلقى التوسلات أمداً طويلاً).[4]، و(فوق قرعات ميمون، تدلّت سحب بنفسجية كثيفة وتلاحمت على رؤوس الجبال المتباعدة في الخلاء الأبدي الممتد كل جبل يقوم وحيداً في العراء).[5]

وهـــذا الترابط الدلالي بين الناطق (الإنسان) و(الحيوان) وبين الصامت الفضاء الخالي (الصحراوي) تلاحم كبيراً حقاً، وهو يمثل علامة من علامات الثبات، والسكون حتى وإن أرتحل عنها الإنسان، فهي باقية. وفي (تلك الأثناء يتسلل إليه مع الظلمات بعد أن يكون كل شيء في الصحراء قد همد ومات).[6]

ويأتـــي الزمن متتابعاً عبر السرد الروائي (ملاحمه خفية تنطق بعبادات آلاف السنين)، وفي لفظة(خفية) يكمن الصمت، وهو حقيقة وتخييل يمكن استنتاجه من الملامح، لأنه قائم منذ زمن دون حراك، ولا صوت، وعلى القارئ في هذه الأثناء قراءة الرموز قراءة تأملية صامتة .

وبالتالي حاول الروائي الكشف عن العلاقات التي تدرك بالحواس (وقف متفكراً، محاولاً أن يتذكر جبل الجن)، [7](وقف يراقبه حتى المساء).[8]

ويبدو أن الصمت هنا فكرة ملازمة للأماكن لما له من دلالات حسية تنم عن علاقة تأويل لأن(التأويل هو صمت النص الذي يصوغه القارئ .... وبهذه الصياغة يضاء اللامنظـــور الخفي التائق لأن يكون حضوراً دائماً في الزمن).[9]

وفي كل المقاطع السابقة وتحديداً في كل المفردات الزمنية والمكانية والمعبرة عن الصمت في آن واحد وما يستنتجه العقل لها دلالاتها التخييلية والرؤى الإيحائية الخفية إلى لغة الصمت. و (هذا السر هو الذي يهبه هذا الجلال، فكم هي عارية وكم هي خفية هذه الصحراء).[10]

ونحن ؛ إذ نتناول النص من زاوية الظاهر الناطق والخفي الصامت في رواية التبر، كي نتمكن من دراسة بنية النص وتقنية اللغة الصامتة والمنطوقة التي تؤدي إلى أغراض لها خصوصياتها فلابد من أن نعرج على تلك التقنيات الزمنية التي لعبت في صميم النص دورها منها:

الحـــــذف:

كثيراً ما يلجأ الروائي إلى استخدام هذه التقنية (الحذف) لتحل النقط والبياض محل الأحرف المكتوبة، وكأن الروائي أراد إخفاء الكلام وجعل البياض بين السطور مكاناً خالياً من الكتابة عـدا بعض النقط التي تشيرإلى هذا الإيحاء الدلالي، بأنه كلام محذوف، فالحذف نقطة زمنية لها أهميتها في النص، وتعد تقنية من تقنيات السرد (وهوفراغ وبياض وثغرة ونقيصة).[11]،ومن أمثلة الحذف في المقاطع السردية التالية: (بعد يومين، ترددت أصداؤها في النجع، كان مطلعها : " اللون أبلق ... والرأس أحمق"، المعلونة سيقطع لسانها ...سيذيقها طعم السوط)[12] ، وفي مقطع آخر: " يا ولي الصحراء، إله الأولين، أنذر لك جملاً سميناً الجسم والعقل.." [13] ، وكذلك: (لا يشتهي لحم المهري إلا امرأة ... أوه يا ربي أين السحر ؟ أين الشعر؟ أين الشرر؟ أين الجاذبية؟). [14]، ومن النماذج الروائية في النص التي تدل على الحذف : (في ذلك الزمن بالضبط ...) [15]

فالحذف في كل هذه الأمثلة ، وهي كثيرة داخل النص الروائي، وله دلالة على الرغم من وجود كلام فهو السكوت عن شيء، ربما يترك للقارئ ملء الفراغ بمخيلته وتصوره الخاص .

التلخيـــــص:

ذلك الخطاب السردي الصامت الذي يأتي منفرداً دون التعمق في التفاصيل، وهنا يأتي دور القارئ في معرفة أغوار الشخوص والاطلاع على الحكي الخفي والظاهر، و (أن يكون للنص صمته هو أن يكون للقارئ حضور فيه ، وهو أن يكون ملامساً لمنبته لثنائية الكلام، أي لآخر لا يولد الكلام إلا معه). [16] ، ومن أمثلة التلخيص : (

العلم عند ربي ، شيوخ الطريقة في غدامس يقولون إن كل شيء يعود إلى الأصل في النهاية) [17]

في هذا التلخيص قامت بنية السرد في رواية التبر وعلى أساسها، فهي النقطة التي حددت المضمون الذي تحمله الرواية ، وفكرتها تقوم على الصراع الدنيوي ثم عودة الحياة الدنيوية إلى عالم غيبي متمثل في موت البطل أوخيد ومهرة الأبلق، وبهذا الانتهاء يعم الصمت الأبدي، حيث لا كلام و لا حياة أصلاً.

وكذلك من التلخيص نقدم نموذج آخر: (التصميم القاسي في عيون المهاجرين الابديين: التصميم الذي يخفي أسراراً يعجز اللسان عن النطق بها). [18]

حاول الروائي قراءة المشهد في ذلك التصميم (فالمؤلف يختفي تحت جلباب الراوي وينطق بلسانه هو فيكون الراوي وسيلة تقنوية تحت تصرف المؤلف يصرف من خلالها وجهة نظرة(المؤلف) حتى كأن الراوي هو الروح الناطقة للمؤلف ...)،[19] وهذا ما جعل الروائي يلجأ إلى تلخيص المشهد بعجز اللسان عن النطق، أي : التعبير الخفي .

الحـــــوار غير المباشر:

في الخطاب السردي لرواية (التبر) تحديداً يأتي الحيوان والإنسان في حوار متبادل، ولكن يظل صوت الحيوان في تقديري ذا معنى خفي غير ظاهر، والصوت المقابل والذي يمثل (أوخيد) ظاهراً و واضحاً ، وبين هذا وذاك تكمن نقطة الصمت وغير المصرّح به ، ومن الممكن تسميتها (لغة اللاوعي الجديدة... كبعد نفسي أساسي و واقعي لا ينبغي تغييبه... العاكسة لنوع الحياة التي يحياها في هذا الوجود). [20]

وفي هذا النص الروائي ما يستدعي الانتباه هو كثرة الحوارات بين أوخيد بطل الرواية والحيوان(الابلق)، ولكنها على ما يبدو جاءت من طرف واحد، فالمعلوم أن الحيوان لا يجيب ولا يستجيب لتلك التساؤلات، ليترك للقارئ حرية التخييل وترتيب أفكاره لاكتشاف العناصر الدالة على تكوين الخطاب الروائي، فالصورة المتخيلة لذلك الحيوان توحي بعدم فهم المعاني التي يطلقها ذلك الحيوان، والحقيقة إشراك الحيوان في دور فعّال مع الشخصية البطل كان ذلك المنطلق الذي به يتم تحريك الحدث، ويبدأ الكاتب في اللجوء إلى (تقنيات أسلوبية وتنويعات لغوية لكن دون أن يرتبط ذلك بنطق الشخصية وبقولها، أي بما يعبر عن وضعيتها الذاتية أو النفسية

الاجتماعية، الفاعلة في تكوين عالمها الروائي من حيث هو عالم له هويته الاجتماعية والثقافية).[21] ولنأخذ نماذج روائية عن ذلك :

(... يارب قاسمني ألمه ... اجعلني أساهم في التخفيف عن الأبلق، هو تألم كثيراً ... شهور وهو يتألم، ليس عدلاً أن يتعذب وحده طوال هذا الزمان، هو أخرس ، لا يشكو ، ولكنه يفهم).[22]

في هذا النص يغيب الجواب وعدم البوح يكون متصلاً بمفردات النص وسرديته، ولو تأملنا المفردات لوجدانها ذات دلالات إيحائية لعب فيها إحساس الروائي دوره في ذلك، وهذه المفردات (ألمه ... يتألم، يتعذب وحده، أخرس لا يشكو، ولكنه يفهم)، وفي هذا دليل على أن الإنسان أوخيد يحاول فهم أبلقه وينطق بالنيابة عنه وهذا الحوار حوار النفس، أي حوار مع الحيوان لأن هذا الحوار ذاتياً كأنه مع النفس، وربما المبرر من وجود هذا النوع من الحوار في روايات الكوني، يرجع إلى البيئة الصحراوية التي يعيش فيها قبائل الطوارق، والحيوانات الموجودة في تلك البيئة.

وإذا اعتبرنا أن الحيوان ناطق، فهو ليس عاقل، وكونه يشارك البطل في الدور، وتصدر منه أصوات، فذلك حقيقة مبنية على السماع لتلك الأصوات ومحاكاتها.

ويمكن للقارئ استنتاج عملية التلقي والرد حركات أخرى تدرك من خلال التمعن والتخييل، لننظر في هذا المقطع السردي(فيرد عليه متمايلاً ، وينثر الزبد ويمضغ الرسن في غدوه السعيد: أو – ع- ع-ع...) فهذه الأحرف الهجائية عبارة عن أصوات يطلقها الحيوان (الأبلق) ، ولكنها قد تبدو للوهلة الأولى مجرد أحرف هجاء غير واضحة لدى القارئ، وبالاستنتاج العقلي ندرك تلك الدلالات الصوتية ولكنها ذات معانٍ مخفية وممكن أن يفهمها صاحبه (فيضحك أوخيد، ويستمر في مداعبته...).[23]

وعند القراءة بين السطور للنص الروائي يتضح أن الحوار منقسم إلى نوعين: ناطق واضح ويمثله (أوخيد) في لغته وآخر ناطق خفي لا معنى له.

(فهل استحق منك، بعد كل هذا مكافأة كهذه؟ قل لي ...) .[24] والسؤال هنا: هل جاء الرد من الحيوان؟ تبقى المعاني لتلك الحروف مخفية ليست معلومة لدى القارئ.

ويعتبر ذلك حوار غير مباشر، وهو المونولوج الداخلي والذي تحكي به حالة الشخصية، وقد يتحول الخطاب إلى حوار مباشر في بعض الأحيان ليلجأ الكاتب إلى (لغة الاعتراف والتي تعتمد ملمحاً بارزاً في أساليب الكتابات الصوفية يستحضر

الكاتب هذه اللغة لكي يضفي على العمل هذا الطابع، مضفوراً بخطاب مباشر يتواصل مع القارئ...).[25]

وبهذا يتحدد ملامح النص الروائي في بنية النص، من حيث دور الرواة، أوخيد البطل الذي يحاور أبلقه ولا يتم الرد من جانبه، ولا يمكن بأي حال فهم أغوار شخصية (الحيوان) وتطلعاتها للوهلة الأولى.

فنجد في العموم أغلب المقاطع السردية تحتوي على قدر كبير من الاعترافات، ولكنها جاءت بصورة سلبية وقد وظفها الروائي في نصه السردي، وتأتي بين أوخيد والحيوان الأبلق، يسأله تساؤلات كثيرة ويطلبه بالاعتراف لارتكابه الخطيئة (لماذا تخبئ عني؟! اعترف أنك تطير إلى محبوبتك ولا تطير إلى محبوبتي، اعترف أن الأفضل لك في العدو هذه المرة الأنثى هي السبب! هي السبب دائماً !!).[26]

كل هذه الاعترافات والطلب بها على علم من أوخيد بأنه لن ينال الإجابة، حتى وإن جاءت بشكل حروف. (فتح فكيه فجأة بـ : آ – آ – آ – أ. ابتلع الخلاء النداء الأليم).[27]

في هذا الحوار تحكي حالة الشخصية بطريقة غير مباشرة وقد قسمها (روبرت همغري) هذه الحوارات إلى قسمين أحدهما (الحوار المنطوق، الحوار الصامت).[28]

فالمنطوق من اللغة واضحة أما المخفية الصامتة تمثل في المونولوج الداخلي صوراً من صور الحوار الصامت، لأن الصمت عكس الكلام والنطق، بل هو عدم الكلام أو التصويت بالتلفظ، ولكن الأمر مختلف في راوية(التبر) هناك الحيوان ناطق ولكن المعاني غير واضحة.

الإشـــــــــارة:

وإذا ما نظرنا في الكثير من المقاطع السردية في النص، نلمح عن كثب استخدام الكاتب للغة الإشارة بشكل كبير وواضح من خلال الأمثلة التالية:

(غداً سيذهب إليها ويذبحها، سيغرف في البداية ماذا أرادت أن تقول بهذا الطلب، فربما كان ذلك مجرد إشارة ... علامة ...لغة العرافين المجهولة).[29]

والمقطع الآخر: (الصحراء علّمته أن يتقيظ للإشارة.. قالت له إنه ليس في الحياة شيء يمكن أن يعادل الإشارة).[30] و- أيضاً- : (تنبيه ... إنذار ...إشارة ، آه من الإشارة ما أكثر ما يخشي هذه اللغة .. اللغة الخفية التي تعملها من الصحراء.. الصحراء التي علمته أن يخافها، لأنها لا تنطق بصريح العبارة، لأنها تخفي المجهول ...). [31] ،

ومثال آخـــر (شيوخ القبائل لا ينطقون بكلمة واحدة عبثاً ويروق لهم أن يستعملوا الإشارة في لغتهم).[32]

وهـــذه الإشارة مجرد تلخيص واختصار للكلام، ربما تكون تعبير صامت يُوحي باللغة الخفية التي لا يفهمها الجميع، عدا شُـــيوخ القبائل، والصحراء تخفي وراءها المجهول. وبالتالي يتضح المقصد من ذلك الصوت الناطق وبين الصوت الخفي الذي يحمل في طياته الإشارة.

فالحوار الصامت (هو كل دلالة أو معنى كانت من غير لفظ سواء أكانت سكوتاً مطلقاً أم حركات وإشارات ورموزاً أم كانت بلفظ أقل من المعنى أم بخلاف اللفظ أم بإشارة من اللفظ).[33]

والأمثلة على ذلك كثيرة منها : على سبيل المثال السكون (ثم اختفت الهمهمات ، كمن في مخبئه حتى الأصيل دون أن يســمع صوتاً سمع طنين أذنيه في ملكوت السكون).[34]، و- أيضاً- : (سكت أوخيــد ...).[35] ،

ويتضح فــي الكثير من المفردات التي تعبر عن حالة وموقف الشخصية (قال أوخيد بعد صمت طويل).[36] و- أيضاً - (وقف أمامهم تفحصوه صامتين، تفحصهم صامتاً). [37] و(صمت الشاب طويلاً قبل أن يقول: لا استطيع أن أنفرد بالرأي، لابد أني أستشير، لابد أن أفكر، ثم استدار واختفى في العتمة).[38]

والملاحظ بُـروز لفظـــة الصمت في المقاطع السّردية ، فيخيم الصمت، وهذا ما نلمحه في النص السردي المتمثل في " وجهات النظر أو ما يسميه (جنيت) بالتبيير أي: حجب المعلومات عن القارئ كما في التبيير الخارجي... الذي يكتفي فيه الراوي بذكر ما يظهر من أحوال ويسكت عمّا وراءها من أشياء".[39] ربما لأنه يترك للقارئ مهمة التفسير والتأويل والاستنتاج في لحظات صمت يعيشها القارئ، " وتتداخل فيها رؤى وتخيّلات ... أي القدرة على استنباط مشاعر وهواجس الآخرين وطرحها كما لو شاءوا طرحها بأنفسهم ".[40] ، وبهذا تظهر دلالة الحكي المخفي الذي يريد الروائي إظهاره بطريقة غير مباشـــرة ، " لكونه يشتمل على الرؤية والأداة، أي : على الرؤية الروائية ، كما يمكن أن يريد لها الروائي نفسه أن تقـــرأ". [41]

نتائـــــج البحث:

وفي نهاية البحث يمكن أن نخلص إلى أهم النتائج في هذا البحث عن الصمت في النص السردي الليبي، وقد أخذنا عينة منه دون التوغل فيه بالقدر الكافي ، ويظل

البحث في لغة الصمت ، وخاصة في الفن الـروائي قائماً ؛ نظراً لحداثة هذا الطرح في الفن الروائي ، وفي تقديري تفتقر الدراسات إلى مثل هذه الأبحاث في هذا المجال، ومن أهم النتائج التي توصّل إليها البحث :

ـ تعرضنا في هذا البحث لدراسة الصياغة السردية لبنية النص من حيث الظاهر والمخفي، وإن شئت الصامت من الكلام ، ومدى إمكانية فهم القارئ وقراءته ، وحتى استيعابه لمضمون الحكي الغائب بين أوخيد وجمله الأبلق ، ويلعب التأويل والتفسير دوره لدى القارئ وفي استنباط الأحكام والنظرة العقلانية في تدبر دلالات الحروف الهجائية، والتعابير المكانية التي لا شك لها ايحاءات في سكونية المكان ولحظات الصمت.

ـ اتضح من خلال المقاطع السردية والحوارية بين أوخيد والأبلق هناك لغة حوارية منطوقة قد تبدو ظاهــرة وواضحة في معانيها، وأخرى خفية يصعب التعرف عليها بسهولة، متمثلة في الحروف الهجائية التي يطلقها الأبلق.

ـ تمت دراسة لغة الصمت من حيث التقنيات الزمنية الحذف، والتلخيص، وكذلك الفضاء المكاني(الصحراء)، والملاحظ اتكاء الروائي على هذا الفضاء بالذات، لأنه بمثابة المؤشر الذي يعكس طبيعة الحياة الصحراوية، والتي يلفها(الصمت) في رقعتها الجغرافية الشاسعة، وعبره يتم تسريد الصمت، كونه يمثل بؤرة الحدث.

- ثم تطرقنا للحوار غير المباشر، وهو حوار النفس، المعبر من طرف أوخيد بطل الراوية لذلك الحيوان(الأبلق) وهو الجمل، وفي هذا الحوار استخدمه الروائي دون مراعاة أوخيد انتظار الجواب من الحيوان، فجاءت أغلبها على شكل استفهام وأسئلة كثيرة يعاتب بها صديقه الحيوان.

- على الرغم من كون الحيوان ناطق ويصدر في أصوات، إلا أنه لا يمكن معرفة المقصد منها، إلا عن طريق أوخيد الذي حاول التعبير عن ألم وحزن (الأبلق)، أي: فهمه ونقل للقارئ مشاعر الحيوان وحتى شكواه من ذلك العذاب.

- وقد تعرض الروائي إلى لغة الاعتراف، (اعتراف) دون تلقي أية إجابة من الحيوان (الجمل)، وهذه اللغة (الاعتراف) تميزت بأسلوب الكتابة الصوفية.

- ثم تجد في النص الروائي (التبر) لغة أخرى تعبر عن الصمت في حقيقتها، وهي لغة الإشارة، وما أكثرها في رواية التبر، وقد اعتبرها الكوني(بالعلامة) في الصحراء ولدى شيوخ القبائل، وعند العرافين...

ـ لوحظ عند تصنيف بنية السرد، أنها تقوم على محور المكان، وهو(الأرض)، وهذا المكان في تقديري(الصحراء) يتجزأ عبر فضاءات أخرى، ويشتمل على الجماد ذلك الكائن الصامت والمتحرك المتمثل في الإنسان والحيوان، إلا أنهما ينحدران إلى أسفل حتى الفناء، ليحل الصمت النهائي، وقد عبّر الروائي عن لغة الصمت في الصحراء بسكونها ومعالمها الخفية في أغلب مقاطعه السردية ، وإذا أتينا إلى الحذف، فنجد استخدامه بكثرة – أيضاً- ؛ لأنه بياض غير مكتوب ، بمعنى آخـــر: كلام محذوف، وهو ما يُوحـي بصمت الروائي عن بعضها الآخر من الكلام ليترك للقارئ مهمة البحث والتقصي والتعرف عن المقصد اللغوي المعبر عنه في اعتقادي، وقد استخدمها الروائي تقنية من تقنيات الزمن، والأمثلة عنها كثيرة، اكتفينا بالبعض منها دون التعمق فيها.

- أما التلخيـــص الذي يأتي في الخطاب السّـــردي، فإنه يجعل النّص بعيداً عن التفاصيل، وعلى القارئ معرفة الدّلالات التي تُبيّن الظاهـــر من الكلام والمخفيّ ويتلخّص في مقاطع روائية معينة تعبر عن وجهة نظر الروائـــي.

ـ هناك بين ثنايا السّـــرد دلالات الصّـمت في ملامح الشخوص، ومواقفهم الحياتية من ثم يأتي السكون- أيضاً- المعبر عن الحالة الصامتة سواء أكان في الصحراء أو في بعض الفضاءات الأخرى، ولا شك له دلالته الإيحائية التي تفضي إلى عالم الصمت بعيداً عـن صخب الحياة وضجيجها. والحقيقة التي لا يمكن أن تفوتنا هي أن الروائي في كل الأحوال وحده من كان وراء إبراز عملية السرد الروائي، فهو الراوي والمحاور الذي حاول صياغة السرد سواء أكان مع الحيوان(الجمل)، أو الشخوص الأخـرى التي تظهر بين الفينة والأخـرى ، وفي ذلك يلتمس إظهار جميـع العلاقات الشخصية في النص الروائي، وربما قد يتطلب منه انقطاع الكلام عن أحد الرواة أو حذف بعض الكلمات في مقاطـع أخرى، وإخفاء بعض التفاصيل أو بالأحرى التي لا يريد ذكرها.

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

والحمد لله رب العالمين.

الهوامـــــــــــــش:

1- جاستون باشلان ، جماليات المكان، ت .غالب هلسا، دار الحرية للطباعة، بغداد، د (ط) 1980م،ص87.
2- عبد الفتاح أمين ، بناء الرواية، بناء الرواية ، دراسة في الرواية المصرية، مطبعة التقدم، القاهرة،(ط1)،1968م ،ص291.
3- محمد داود، الرواية الجديدة بنيانها وتحولاتها، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية،ط1 ، 2013م،
ص200.
4- إبراهيم الكوني، رواية التبر،ط3، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت،1992م،ص21.
5- المصدر السابق، ص33
6- المصدر السابق،ص36
7- المصدر السابق، ص 33،ص34.
8- المصدر السابق ، ص34.
9- يمني العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، ط3، دار الفارابي ، بيروت لبنان،2010م.
10- برنار فاليط، النص الروائي، ت.رشيد بنجدو، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،1992م،ص113.
11- إبراهيم الكوني، التبر، مصدر سابق، ص148.
12- المصدر السابق، ص63
13- المصدر السابق، ص64.
14- المصدر السابق،ص86.
15-المصدر السابق،ص74.
16- يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي، مرجع سابق،ص276.
17- إبراهيم الكوني، التبر، مصدر سابق،ص54.
18- المصدر السابق،ص75.
19- ناهضة ستار، بنية السرد في القصص الصوفي المكونات والوظائف والتقنيات، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2003 م ،ص 236.
20- ثناء أنس الوجود، قراءة نقدية في القضايا المعاصرة ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،2000م، ص190.
21- يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج النبوي، مرجع سابق،ص180.
22- إبراهيم الكوني،التبر، مصدر سابق،ص36.
23- المصدر السابق، ص114.
24- المصدر السابق،ص63
25-محمد حسين أبو الحسن، الشكل الروائي والتراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب،2012م،ص107.
26- إبراهيم الكوني،التبر، مصدر سابق،ص13.
27- المصدر السابق،ص122.
28- روبرت همفري، تيار الوعي في الرواية الحديثة، ت. محمود الربيعي، دار المعارف، القاهرة،ط1 ، 1975م،ص44- ص45.
29- إبراهيم الكوني،التبر، مصدر سابق،ص83
30- إبراهيم الكوني،التبر، مصدر سابق،ص92.
31- المصدر السابق، ص117.
32- المصدر السابق،ص15.

33- عمار بشيري – الصمت فبي الخطاب القصصي عند عبدالله أبو هيف – مجدلة المداد جامعة عبد الحفيظ بو الصوف – ميلة – الجزائر
34- إبراهيم الكوني، التبر،ص10.
35- المصدر السابق،ص130
36- المصدر السابق،ص104.
37- المصدر السابق ،ص 158.
38- المصدر السابق،ص56.
39- ينظر / محي الدين حمدي، مدخل إلى الصمت في النص السردي ، مجلة كلية الآداب واللغات، العدد الثامن، جامعة صفاقس (تونس)، 2011م.
40- محسن جاسم الموسوي، الرواية العربية النشأة والتحول، منشورات دار الآداب، بيروت ط2، 1988 م ،ص232.
41- المرجع السابق،ص247.